إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الخامس – ربيع ١٣٩١ش/آذار٢٠١٢م

# الأثر الفنى للقصّة القرآنيّة فى بناء قصّة يوسف وزليخا الفارسيّة (كتاب مثنوى معنوى نموذجا)

مظهر مقدمی فر*
حميرا حميدى**

**الملخص**

يعتمد القرآنُ الكريم على القصّة ويعتبرها من الوسائل الهادفة إلى إصلاح الإنسان وتربية فكره، ويعالج من خلالها قضايا الإنسان فى أحواله المختلفة على مرّ العصور والأزمان. فالقرآن ليس مجرد تاريخ للأنبياء ولا تاريخ الملوك وأبطال القصص؛ فمن الأنبياء مَن أغفل القرآن ذكر أسمائهم، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عليک وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عليک﴾ (غافر:٧٨) فالغاية من التركيز على شخصيّة الأنبياء فى القرآن ليست إلا تنوير الأذهان وإرشاد الأنام باتّباع درب الأخيار. فقصص القران كان لها تأثير بالغ على نتاجات الشعوب الإسلامية ولاسيّما الشعب الإيرانى المسلم فأخذ الشعراء بنصيب وافر منها. فجاءت هذه الدراسة لتتناول عناصرالقصّة الفارسيّة التى تأثّرت بالقصّة القرآنيّة، ومظاهر هذا التأثّر، مستعرضة تجلّيات القصة القرآنية فى كتاب مثنوى معنوى من خلال معالجة قصة يوسف وزليخا ودراستها دراسة فنّية باعتبار عنصر الشخصية، والزمان والمكان.

**الكلمات الدليلية:** القصة القرآنية، مولانا جلال الدين، مثنوى معنوى، يوسف وزليخا، عناصرالقصة.

*. دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها من الجامعة الإسلامية، لبنان.
**. طالبة الماجستير بجامعة آزاد الإسلامية فرع طهران الشمالية، إيران.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د.عبدالحميد أحمدى
Mazhar_2007_m@yahoo.com
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٢/٢٤هـ. ش
تاريخ القبول: ١٣٩١/٣/٤هـ. ش

### المقدمة

ترجع أهمية هذا الموضوع الذی تمّ اختياره إلی مكانة القصّة القرآنيّة فی الثقافة الإسلاميّة، وإلی قوّة تأثيرها فی القصّة الفارسيّة، وإبراز دورها ومكانتها فی تنوير الأفكار فی المجتمع الايرانی، مع بيان ما يتّصل بذلک من مواعظ وعبر. فالإسلام عندما حلّ بإيران انبثقت لدی الايرانيّين طاقات علميّة وفكريّة هائلة، ووجدوا أنفسهم منجذبين إلی هذا الدين القويم، فأقبلوا عليه بشوق، وراح الشعراء ينشئون القصص وسيلة لبيان طريقتهم، وشرح ما تدفّق من إدراكهم. «فالشعر القصصی فی آداب الشعوب الإسلاميّة قد ازدهر علی يد الفرس وتنوّعت فنونه. ولقدكان المثنوی (قالب من قوالب الشعر) هو الشكل الأدبی الذی صاغ فيه الفرس ملاحمهم ورواياتهم ومطوّلاتهم الأدبيّة والتعليمية.» (كفافی، ۱۹۷۱م: ۲۸۰)

وفی هذه الدراسةبحسب مقتضياتها سنحاول الالتزام بمنهج استقرائی تحليلی مقارن، وبمقولاته التی تفصح عن مستويات النص القرآنی وانعكاسه علی القصّة الفارسيّة فی أجلی صورة وأكثرها وفاءً للنص القرآنی، لأنّ السرد مصطلح عام يتناول القصّة أو الأحداث أو استنباط الأسس التی يقوم عليها القصّ، وما يتعلق بذلک من نظمٍ تحكم إنتاجه وتلقّيه ونقده. والسرد أحد تفريعات البنيويّة الشكلانيّة كما تبلورت فی الدراسات النقديّة الحديثة. فالأصل فی التعبير عن الحقائق هو (السرد)، ذلک أنّ الإخبار عن الشیء يتمّ عادةً من خلال عرضه علی نحو خبری. (البستانی، ۱۳۸۲ش: ۱۲۴) فهو بوصفه مسباراً، يكشف عن القيمة الفنيّة للقصّة القرآنيّة ومدی تجلّياتها فی القصّة الفارسيّة، من خلال فحص مكوّنات البنية السرديّة للقصّة، ومثالها الوظائفی، وأنماط الشخصيّات فيها، وبنية الزمان، وبنية المكان، وصيغ السرد. فمن الشعراء العظام الذين تأثّروا بالقرآن فی معانيه وما قصّ من قصص وبدی ذلک واضحا وجليّا فی نتاجاتهم الأدبية مولانا جلالُ الدين الرومی.

### جلال الدين محمد بلخی(المولوی)

ولد مولانا جلال الدين محمد بن حسين بهاء الدين البلخی، فی مدينة بلخ سنة

٦٠٤ق. لقّبه بعض مريديه من الصوفيّة «خداوندگار»، و»مولانا»، و»المولوى». (بدوى، ١٩٨١م: ٤٠٩) وأمّا سبب شهرته بالرومى فراجع لطول إقامته فى مدينة قونية بتركيا، حيث قضى أكثر عمره فيها، وتوفى هناک سنة ٦٧٢ق/١٢٧٣م عن عمر بلغ نحو سبعين عاماً. (تلميذ، ١٣٧٨ش: ١١؛ وفروزانفر، ١٣٥٤ش: ٥) يُعدّ المولوى من أعظم شعراء الإسلام ومن أقطاب الشعر الصوفى فى العالم، عاش وازدهر فكره فى ظلّ وارف من حضارتنا الإسلامية. (كفافى، ١٩٧١م: ٤٨٥) وكانت مصادر ثقافة الشاعر متعدّدة إلى أبعد الحدود، ويرجع تعدّد هذه المصادر إلى تعدّد المناسبات التى كان الشاعر يلجأ فيها إلى إيضاح أفكاره بالقصص والتمثيل. أول هذه المصادر دون أدنى شکّ هو القرآن؛ ومن أشهر القصص فى المثنوى قصّة "الأمة والملک"، وهى شبكة متداخلة من الرموز الصوفيّة التى يحيل بعضها إلى بعض، وتؤصّل للرؤية الصوفيّة من واقع الإنسان وآلامه وقلبه.

### قصص مثنوى معنوى

كتاب مثنوى معنوى للمولوى من الآثار القيّمة ، يحتوى هذا الكتاب ستّة أقسام عُرفت باسم الدفتر، إلى جانب ٢٦ ألف بيت من الشعر منظومة على بحر الرمل، وقد عرض الشاعر مطالبه عن طريق القصص والتمثيل، فهو فى كتابه هذا والذى يشبه الكتب المقدسة إلى حدّ كبير أفاد من القصّة للتأثير فى الناس، وقد حشد لذلک كلّ طاقته الروحيّة وإمكاناته، فلا يكاد يعرض معنى من المعانى إلا ويوضحه بقصّة يستعير أدواتها من حياة الناس اليوميّة. فكتاب ''مثنوى معنوى'' يحتوى (٢٥٦٤٩) بيتا من الشعر، وهو كتاب ذو مكانة عالية عند الناس، سعى فيه الشاعر إلى بلوغ الكمال الإنسانى متوخّياً النصح والإرشاد والإصلاح الإجتماعى؛ فيصفه هو بنفسه قائلا: «هذا كِتابُ الْمَثنَوى ، وَهُوَ أُصولُ أُصولِ أُصولِ الْدّين، فى كَشْفِ أَسْرارِ الْوصولِ وَالْيَقين، وَهُوَ فِقْهُ اللَّهِ الاكْبَر، وشَرْعُ اللَّهِ الازْهَر، وَبُرهانُ اللَّهِ الأَظْهَر، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ، يُشْرِقُ إِشْراقاً أَنْوَرَ مِنَ الْإِصْباحِ...» (مولوى، ١٣٨٤ش: ٣) وهنا يظهر تأثّر المؤلّف بالقرآن، واستيعابه للمضامين الثقافيّة والأسلوبيّة التى تضمّنها كتاب الله.

أشعار "مثنوى معنوى" تعدّ من أرقى الأشعار؛ وقد تعارف أهل إيران على تسمية "مثنوى معنوى" بالقرآن البهلوى، ويقصدون بذلك القرآن الفارسى. (براون، ۲۰۰۱م: ٦٩٥) وقد اشتمل المثنوى على نحو ٤٧٥ قصّة، نجح الدارسون فى ردّ كثير منها إلى أصول سابقة ذات مصادر متعدّدة. أوّل هذه المصادر بدون شكّ هو القرآن وقصص الأنبياء؛ فقصّة يوسف (ع) قد وردت فى مواضع متعدّدة من المثنوى، وكذلك قصّة سليمان وغيرهما من الرسل والأنبياء. (كفافى، ۱۹۷۱م: ٤٩٨) وبعض هذه القصص يتعلّق بطرف من سيَر كبار الصحابة أو الصوفيّة والزهاد والملوك والحكماء، وكذلك الفلاسفة أو الأطباء.

والفنّ القصصى عند المولوى ليس غاية فى حدّ ذاته، وإنّما كان يستخدم القصص وسيلة لإيضاح آرائه. وكان هذا الأمر سبباً فى أنّ الشاعر استخدم المادّة القصصية الشائعة من جهة، ولم يسرد القصة بوصفها وحدة متماسكة من جهة أخرى، بل كثيراً ما كان يصل إلى نقطة منها، ثم يستأنف حديثاً آخر من هذه النقطة معلِّقاً عليها، مستخلصاً الحكمة التى تنطوى عليها، ثم يعود بعد ذلك الاستطراد إلى متابعة القصّة. والظاهر أنّه كان يتّخذ القصّة وسيلة لتشويق المستمع لمتابعة آرائه؛ وفى بعض الأحيان كان يعبّر عن ضيقه، لأنّ المستمع ينشغل قلبه بحوادث القصّة عن متابعة مغزاه. (المصدرنفسه: ۱۰)

## الجانب الفنى فى القصة

إنّ العمل القصصى كأىّ نوع أدبى يقوم على أساس المرسلة التى تكون موجّهة من مرسِل إلى مرسَل اليه،أو بين متكلّم أو قارىء بشكلٍ عام؛ وما يميّزه من غيره هو تلك التقنيّات والمؤشّرات التى تحكم عالم القصص. «فالقصص مثله مثل أىّ ظاهرة لغويّة يقوم على علاقة توصيل بين متكلّم ومستمع، بين راوٍ ومتلقٍّ.» (قاسم، ۱۹۸٥م: ۱۳۰) ولمّا كان الراوى فى عالم القصص، هو غير الراوى فى القصص القرآنى، من الضرورى أن ننطلق فى الحكم على العمل الأدبى من خلال النص وما يحمله من سمات ومزايا، ويكون النص أو العمل الفنى هو المرجع الأساس الذى بُنى عليه الحكم وتحدّدت على أساسه العلاقة بين القصص القرآنى والقصّة الفارسيّة.والأدب الفارسى قد عرف منذ القدم

ألواناً عديدة من فن القصص باعتباره جزءا من آداب الشرق. (علوب، ١٩٩٣م: ٨) والقصة القرآنية تجلّت بوضوح عند الشعراء الإيرانيين ولاسيّما قصة «يوسف وزليخا" التى قام بتوظيفها العديد من الشعراء، ومنهم مولانا جلال الدين.

## الشخصيّات القرآنية عند مولانا فى سرده لقصّة يوسف وزليخا

تتغاير الشخصيّة فى القصّة القرآنية مع غيرها وتتميّز عنها بمعتقداتها ومزاياها ومستواها الثقافى الحضارى؛ وهذا ما أكّده مرتاض فى قوله: «تتعدّد الشخصيّة الروائية بتعدّد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيّات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشريّة التى ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود.» (مرتاض، ١٩٩٨م: ٨٣) يضاف إلى ذلک اختلاف زمن الشخصيّة الذى يفرض عليها إلى حدّما الالتزام بعادات وتقاليد وقيم متنوّعة تسايرها أو تحاربها؛ فهناک من الشخصيّات القرآنية ما تتصف ببعدها عن المصالح الذاتيّة والفردية وبخاصّة شخصيّات الأنبياء التى كانت تحرص على نشر الدعوة إلى الايمان بالله الواحد، وتلتزم المبادىء التى تدعو اليها، وتسهر على مصالح الناس من خلال الدعوة وتكره الفساد، وتحاربه. ومنها ما تتميّز بأنانيّتها وحرصها على مصالحها الشخصيّة كنمرود، وإخوة يوسف، وزوج العزيز...

إنّ شخصيّات القرآن إنسانيّة عاشت الواقع وانطلقت منه بأحداثها ومواقفها، وكذلک الشخصيات عند المولوى، فهى بشريّة تمثّل الحياة فى نواحيها المختلفة. فقد أفادت قصصه من شخصيّات القرآن فى جوانب متعدّدة، وتميّزت عنها فى جوانب أخرى، والأسباب فى ذلک كثيرة: منها ما هو متعلّق بالأهواء والمذاهب والأيديولوجيّات، ومنها ما هو متعلق بالثقافات، ومنها ما له علاقة بالزمان والمكان. وفى قصّة (يوسف وزليخا) للمولوى لا بدّ من الوقوف على دراسة الشخصيّات ودراسة نظام العوامل والرغبات، لاكتشاف بعض مميّزاتها، ومراقبة حجم تأثّرها بالقرآن الكريم فى نواحى مختلفة.

ففى قصة يوسف يتجلى العامل الموضوع فى الدعوة إلى الله وقيادة الشعب إلى برّ الأمان؛ إلاّ أنّ هناک عامل مناوىء يحول دون تحقيق العامل الموضوع ألا وهو السجن، ولكن هذا العامل المناوىء شكّل الانطلاقة للعوامل المساعدة المتمثّلة فى علمه بالرؤيا،

الأمر الذى دفع بالملك إلى النظر فى مسألة مكوثه فى السجن، ورأى فيه مساعداً له على الابتعاد بقومه من الفقر.

إنّ دعوة يوسف المحدودة فى السجن كانت المدخل إلى عالم الدعوة الواسع وإلى السلطان؛ فالنبى يوسف(ع) هو الذى يرغب ويسعى إلى تحقيق رغبته متّبعاً فى ذلك الطرق المستقيمة للوصول إلى الهدف. وأما العامل الموضوع فيتمثّل فى رغبة النبى فى نشر الدعوة وإنجاح مهمّته. وهذا جدول يوضح دوائر هذه العلاقات والعوامل:

| الموضوع | العامل المرسل | العامل المرسل اليه | العامل المساعد | العامل المناوىء | النتيجة |
|---|---|---|---|---|---|
| الدعوة إلى الله | – نشر الدعوة<br>– تصحيح العقيدة<br>– نبذ الشرک | – قوم يوسف<br>– تحقيق الذات | – الوحى<br>– الإيمان<br>– علم الرؤيا<br>– التصميم وعدم التنازل رغم العقبات<br>– الشاهد | – علاقة إخوته به<br>– أبعاده من أبيه<br>– امرأة العزيز<br>– العزيز<br>– السجن<br>– تغاضى العزيز عن الحقيقة | – يوسف عزيز مصر<br>– يوسف مخلّص مصر من المجاعة<br>– يوسف محط أنظار القوم<br>– يوسف جامع العائلة ومبدد الكرب عن أبيه |

– **شخصيّة يوسف:** تمثّل شخصيّة يوسف الشخصيّة الرئيسة فى قصّة (يوسف وزليخا) لمولانا، وتتميّز عن غيرها بصفات كثيرة، وهنا نلحظ أنّ المولوى أراد التركيز على الهويّتين الأخلاقيّة والنفسيّة، انطلاقاً من علاقة ذلک بالمجتمع وبأحداث القصّة.لأن ّهذه القصّة هى قضيّة إنسانيّة واجتماعيّة فى آن واحد، وقد اقتبسها من القرآن فى قصّته التى أطلق عليها «أجمل القصص»، لأنّها تحمل كلّ العناصر الفنيّة للقصّة بترتيب خاص، وأشار فيها إلى فتنة الجمال وإلى كيفيّة التعامل مع هذه الفتنة بوصفها نعمة لا نقمة، تبعد الإنسان أحيانا من أخلاقيّاته ومن إيمانه إذا لم يحسن التحكم بها؛ يقول مولانا:

| | |
|---|---|
| یوسفم در حبس تو ای شه نشان | هین ز دستان زنانم وا رهان |
| از سوی عرشی که بودم مربط او | شهوت مادر فکندم که «اهبطوا» |
| پس فتادم زان کمال مُسْتَتِم | از فن زالی به زندان رحم |
| روح را از عرش آرد در حطیم | لا جرم کید زنان باشد عظیم |
| ناله از اخوان کنم یا از زنان | که فکندندم چو آدم از جنان |

(مولوی، ۱۳۸۴ش: ۱۰۸۱)

– یا أیها الملیک، أنا یوسف فی سجنک، وهیا خلّصنی من أیادی النسوة! – إن شهوة الأم قد ألَقت بی من ناحیة العرش الذی کنت عاکفاً علیه قائلة: اهبطوا. – فسقطت من ذلک الکمال التام، بحیلة امرأة عجوز فی سجن الرحم.– إنها تأتی بالروح من العرش إلی الارض، لاجرم فی ذلک فالنساء کیدهنّ عظیم.إشارة إلی ﴿إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ﴾ (یوسف: ۲۸)– فیا تری أأشکو من الإخوان أو من النسوة؟! الذین ألقوا بی کآدم من الجنان. إشارة إلی ضغط امرأة العزیز علی یوسف، ﴿وَلَئِن لَّمْ یَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَیُسْجَنَنَّ﴾ (یوسف: ۳۲)

فیوسف، علیه السلام، عندما رأی من النساء غمزات تُوحی إلیه بأن یُعرّض نفسه لتلک الورطة التی ستؤدی به إلی السجن؛ طلب من الملک تخلیصه من أیدی النسوة، خصوصاً من ید امرأة العزیز ومن مجموع النسوة اللاتی جمعتهنَّ امرأة العزیز، وهُنَّ اللاتی طلبْنَ منه غَمْزاً أن یُخرج نفسه من هذا الموقف. ولعلّ أکثر من واحدة منهنّ قد نظرت الیه فی محاولة لاستمالته، وللعیون والانفعالات وقَسَمات الوجه تعبیر أبلغ من الکلام، وقد تکون إشارات عُیونهنّ قد دَلَّتْ یوسف علی المراد الذی یطلبنه؛ والسجن هنا أفضل لدیه من أن یوافق امرأة العزیز علی ارتکاب الفحشاء، أو یوافق النسوة علی دعوتهن له أن یُحرِّر نفسه من السجن بالاستجابة لها، ثم یخرج إلیهنّ من القصر من بعد ذلک. ولکنّ یوسف دعا ربّه، فقال: ﴿إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّی کَیْدَهُنَّ أَصْبُ الیهنَّ وَأَکُن مِّنَ الْجَاهِلِینَ﴾ (یوسف: ۳۳) إنّ یوسف یعرف أنّه من البشر؛ وإنْ لم یصرف الله عنه کیدهُنَّ، لاستجاب لغوایتهن ولأصبح من الجاهلین الذین لایلتفتون إلی عواقب الأمور. ومع أنّ السجن أمر کریه؛ إلاّ أنّه قد فضَّله علی معصیة خالقه، لأنه لجأ إلی المُربِّی الأول، لتأتی

الاستجابة منه سبحانه. ولمعرفة تجلّيات شخصيّة يوسف عند مولانا نقوم باستعراضها من نواحى مختلفة.

**أولا: الهوية الأخلاقيّة:** إنّ يوسف قد ظهر فى قمّة الأخلاق النبيلة، وهذا ما أكّدته أفعاله وردات فعله؛ ولاسيما فى معاملته لإخوته الذين رموا به فى الجبّ حيث تداركته يد العناية الإلهية فأخرجته من قعر البئر إلى منصّة الحكم:

چون در افکندند یوسف را به چاه    بانگ آمد سمع او را از اله

که تو روزی شه شوی ای پهلوان    تا بمالی این جفا بر رویشان

(مولوی، ج٣، ١٣٨٤ش: ۴۵٩)

– عندما ألقوا بيوسف فى البئر، هتف به هاتف من الله تعالى.– يا أيّها البطل! إنّک فى يوم من الأيام سوف تصير ملكاً،حتى تخجلهم بمعاملتک الحسنة ممّا ارتكبوه بحقک من قسوة وجفاء.

يعنى أنّ يوسف كان فى عناية الله، فى الجب وفى قصر العزيز وهو مملوک، فكان رجلاً أميناً حافظا لعرض سيّده، لم يستغلّ جمال ظاهره وإعجاب زوجة الملک به، ليسير وراء شهواته ويخون سيده، بل ترفّع عن غرائزه وشهواته وكبح جماح نفسه ورفض الإستجابة؛ فظلّ شخصيّة محافظة على كرامتها، وإن كان الثمن حريّته؛ فهو قبل أن يُلقى به فى السجن هُدّد وعرف أنّ السجن سيكون مصيره إن لم يستجب لهذه الرغبات التى يستجيب لها الكثيرون من عالم البشر ويجدونها فرصة ثمينة، ومع ذلک رفض التنازل عن أخلاقيّاته، فهو قد فضّل السجن على الوقوع فى هذه الخطيئة.

ناله از اخوان کنم یا از زنان    که فکندندم چو آدم از جنان

**ثانياً: الهويّة الثقافيّة:** حظى يوسف بالكثير من العلم والثقافة، ولا غرابة فى ذلک لأنّ الله قد اجتباه وعلّمه تأويل الاحاديث. (الخالدى، ج١، ١٩٩٨م: ٩٠) فتغلّب بعلمه وثقافته على مصاعب السجن من خلال تأويله أحلام رفيقيه ثم تأويله حلم العزيز، فتحوّل من إنسان مملوک معاقب على تهمة لم يرتكبها إلى إنسان متحرر من تلک القيود القاهرة، ليستلم زمام الحكم وينقذ البلاد عبر خطّة اقتصاديّة وضعها لتخليص مجتمعه من الفقر والمجاعة. وهكذا تحوّلت شخصيّة يوسف ليحكم بالعدل ويوزّع ثروات البلاد على

مستحقّيها دون تمييز، حتّى إخوته لم يحجب عنهم المساعدة. يقول المولوی:

همچو يوسف کاوبديد اول به خواب ـــــ کـــــه سجودش کرد ماه وآفتاب

(مولوی، ج۴، ۱۳۸۴ش: ۷۲۹)

يوسف مه رو چو ديد آن آفتاب ـــــ شـد چنان بيدار در تعبير خواب

(المصدر نفسه، ج۲: ۲۲۵)

– فمثله کمثل يوسف(ع) الذی رأى فی المنام أول ما رأى أن الشمس والقمر قد سجدا له. – فيوسف(ع) الذی کالبدر جمالا عندما رأى الشمس فی منامه، صار يقظا هکذا فی تعبير الأحلام.

**ثالثاً: الهويّة النفسيّة**: تميّزت شخصيّة يوسف بنفسيّة راقية مترفّعة عن الدنايا وعن المصالح الشخصيّة والمآرب الخاصّة، وکانت متعالية على الأحقاد؛ فيوسف صفح عن إخوته الذين أرادوا الخلاص منه وسعوا لذلک، وصفح عن زوج الملک التی رمته فی السجن سنين وسنين ظلماً وعدواناً بسبب رغباتها الجنسية، وترفّع عن أحقاده عندما غدا فی مرکز الحکم، لم ينتقم لنفسه من إخوته، وکذلک لم ينتقم لنفسه من زوج العزيز، فقد وُضع فی السجن بسببها ولکنه صبر على سجنه، ورفض الخروج قبل إعلان الحقيقة أمام الملأ، وهنا تظهر قوّة شخصيّته وجديّتها فی الحياة، وصبره على إغراءات امرأة العزيز له ليثبت أنّ السيد لا يمکنه التحکّم بمملوکه بکلّ ما يملک وبخاصّة فی رغباته، وهذه طبيعة النفس البشريّة.

**رابعاً: الهويّة الجسديّة**: نلحظ الترکيز على الهويّة الجسديّة ليوسف، والذی ظهر من خلال تصرّفات النساء معه، فکان کما يقال عنه أجمل أهل زمانه، إلاّ أنّه کان أرفع من غرائز الجسد وشهواته؛ فترفّع عن الإنغماس فی تلک المعصية. إنّ شخصية يوسف التی أغرمت بها زليخا أعظم مما تتصوّر النسوة، يقول المولوی:

از زنان مصر يوسف شد سَمَر ـــــ که ز مشغولی بشد ز ايشان خبر

پاره پاره کرده ساعدهای خويش ـــــ روح واله که نه پس بيند نه پيش

ای بسا مردِ شجاع اندر حراب ـــــ که ببرّد دست يا پايش خيراب

(مولوی، ۱۳۸۴ش: ۴۲۶)

– لقد صار يوسف موضع السمر بين نسوة مصر، بحيث فقدن السيطرة على أنفسهنّ من انشغالهن به.– لقد قطعن أيديهن ومزقنها إرباً، روح الواله لاترى قدّامها او وراءها.
– ما أكثر الرجال الصناديد فى الحرب، الذين يجرح الطعان منهم اليد والقدم.

التركيز على الناحية الجسديّة الشكليّة عند يوسف كان لغايات، فهو يحمل دلالات تؤكّد وجود نوعين من البشر: نوع شهوانى يتعلّق بالشكل والظاهر، ونوع روحانى مؤمن يترفع عن مغريات الجسد ويترفع عن الانجرار وراء غرائزه وشهواته. وهكذا تظهر لنا شخصيّة يوسف المحوريّة التى تدور حولها أحداث القصة كلّها؛ فقد كان دوره تحرير الإنسان من نوازعه الذاتيّة الضيّقة والوقوف فى وجه الجسد ودوافعه ومواجهة الدعوة لإشباع الشهوات خارج النطاق الأخلاقى والاجتماعى.

– **يعقوب**: ظهرت شخصيّة يعقوب نبى الله والإنسان الحكيم فى بداية قصّة يوسف وفى نهايتها. وقد بدا ذلک الرجل الذى يمتلک بعد النظر ويستطيع أن يستشعر ما سيحدث ببصيرته، وذلک من خلال تحليله للأمور ومن خلال معرفته بالعلاقة التى تجمع يوسف بإخوته. وقد ظهر من خلال علاقته بيوسف مثال الأب الذى يخاف على ولده ويحرص على حمايته من أى سوء. عندما أبلغه يوسف بالرؤيا استطاع أن يفسّرها ويأخذ الحيطة والحذر بقوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاکَ على إِخْوَتِکَ فَيَکِيدُواْ لَکَ کَيْداً﴾ (يوسف: ۵) إنّ يعقوب يؤكّد بكلامه دور الشيطان فى الوسوسة لإخوته للكيد بأخيهم، فأسباب الكيد بحسب رأيه منسوبة إلى الشيطان عدو الإنسان، وهو بحديثه عن كيد إخوته وإتْباعِه ذلک بدور الشيطان، كان درءاً للفهم الخاطئ عند يوسف، ومحاولة من يعقوب، العالم بأسرار نفوس أبنائه، لدفع ما قد يتحرّک فى نفس يوسف من حقد على إخوته. عندما ذکرسیدنا يوسف رؤياه أمام أبيه لمح الأب من وجه ابنه رائحة الحق، وهذه البصيرة كانت خاصةً بيعقوب؛ فهو من عشقه إياه يلقى بنفسه فى بيت الأحزان، فى حين أنّ إخوته بحقدهم عليه يحفرون له بئراً:

آن چه يعقوب از رخ يوسف ديد — خاص او بُد آن به إخوان کَی رسيد؟
اين ز عشقش خويش در چَه می کُند — و آن به کين از بهر او چَه می کَند
سفره او پيش اين، از نان تهی است — پيش يعقوب است پر،کاو مشتهی است

جوع يوسف بود مر يعقوب را          بوی نانش می رسيد ار دور جا
آن كه بستد پيرهن را ، می شتافت          بوی پيراهن يوسف می نيافت
وان كه صد فرسنگ، زان سو بود او          چون كه بُد يعقوب می بوييد بو
(مولوی، ١٣٨۴ش: ۴٩١)

– إنّ ما رآه يعقوب مِنْ وجه يوسف كان خاصاً به، فمتى أدركه إخوته! – فهو من عشقه إياه يلقی بنفسه فی بيت الأحزان، فی حين أنّ إخوته من حقدهم عليه يحفرون له بئراً.– كانت سفرته أمام إخوته خالية من الخبز لكّنها كانت أمام يعقوب مليئة بكل ما هو مشتهی. –كان يعقوب يحسّ نحو يوسف «بما يشبه» الجوع، فكانت رائحة خبزه تصل إليه من مكان قصی. – ذلک الذی كان يحمل القميص مسرعاً،لم يكن يجد رائحة يوسف. والذی كان علی بعد مئة فرسخ منه كان يشمّ الرائحة، لأنه كان يعقوب.

تشير هذه الأبيات إلی حزن سيدنا يعقوب الشديد لفراق ابنه يوسف وإعراضه عن أولاده؛ فما جاؤا به هو خبر أحزنه، فخَلا بنفسه؛ لأنّه ببشريّته تحسَّر علی يوسف، فقد كانت قاعدة المصائب هی افتقاده ليوسفَ؛ وعندما يفوه الإنسان بعبارات تدل علی الحزن مثل: «واحُزْناه» فهذا يعنی أنّ النفس متألّمة، فلذلک جاء التحذير من إخوته وكيدهم متلازما مع ذكر عداوة الشيطان للإنسان فی سياق واحد. وهذا ما يؤكد عقلانيّة يعقوب واعتماده مبدأ التربية الصحيحة القائمة علی إبعاد الحقد من بين الإخوة. ولكنّ السبب فی التحذير ظهر بعد ذلک علی لسان إخوته: ﴿اذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلی أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ ( يوسف: ٨)

وأشار مولوی بالاعتماد علی هذه الآية (أَلْقوه علی وجه أبی) الی الارتباط الأبویّ بيوسف من خلال الترميز بإرسال القميص إليه ليعود له بسببه البصر.﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّی لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف: ٩۶)

– **امرأة العزيز**: ظهرت شخصيّة امرأة العزيز فی هذه القصّة عندما اشتری عزيز مصر يوسف وبقی فی قصره، ومنذ ذلک الوقت أحبّت امرأة العزيز يوسف حبّاً شديداً وتجاوزت ذلک إلی حدّ العشق فرغبت به ورادوته عن نفسه، وعندما غلّقت زليخا الأبواب من كل ناحية،توكّل يوسف علی الله وتحرّک، فانفتح بإذن الله القفل والباب

وخجلت امرأة العزيز من ردّة فعل يوسف؛ وإن يرِد الله أمرا فلا رادّ له؛ يقول مولانا:

گــر زليخــا بســت درهــا هــر طرف　　　يافت يوســف هم ز جُنبِــش مُنْصَرَف

چــون تــوكل كــرد يوســف برجهيد　　　بــاز شــد قفــل در و ره شــد پديــد

گر چــه رخنه نســيت عالــم را پديد　　　خيــره يوســف وار مى‌بايــد دويــد

تــا گشــايد قفــل و ره پيــدا شــود　　　ســوى بيجايــى شــما را جــا شــود

(المصدر نفســه: ٨٠٥)

– إذا كانت زليخا قد غلّقت الأبواب من كل ناحية، فإن يوسف(ع) وجد فى الحركة منصرفاً. – عندما توكّل يوسف على الله وتحرّك، انفتح القفل والباب،واتضح الطريق.– إن لم تكن فرجة واحدة ظاهرة وموجودة،فينبغى السعى،كما فعل يوسف. – حتّى يُفتح القفل ويبدو الطريق، و يصبح لک منفذ إلى اللامكان.

كانت زليخا قبل يوسف محطّ ثقة زوجها الذى طلب منها أن تكرم مثواه، ولم يظهر قبل هذه الحادثة أىّ شکّ من زوجها بها، ولم يظهر أىّ نفور بينها وبين العزيز، إلّا أن وجود يوسف فى القصر دفعها إلى هذا التحوّل، فظهرت عليها علامات الخيانة وعلامات المكر والخداع على زوجها واتّهام الآخرين (يوسف) زوراً وبهتاناً، وهذا ما أظهر أنانيّتها. هنا تنكشف صفات امرأة العزيز، فقد بدت امرأة عاشقة تملّكتها عواطفها ونزواتها، فتنازلت عن مكانتها وحطّمت الفارق بين مقامها وبين يوسف، وبدت امرأة ذات عزيمة على ارتكاب الفاحشة والخيانة الزوجيّة. وأمّا من الناحية الفكريّة فإنّ ما فعلته أمام زوجها يوحى بذكائها وسرعة بديهتها، بتصرّفها أمام زوجها بشكل طبيعى، لإبعاد الشکّ من نفسها، فرمت الكرة فى مرمى يوسف طالبة له من الملک عقاباً من اثنين، بسبب إساءته حسبما زعمت، فإمّا السجن وإما العذاب الأليم. فشخصيّة امرأة العزيز تحوّلت إلى إمرأة شرهة عاطفيّاً، تريد تحقيق نزواتها حتى ولو كان عن طريق الخيانة الزوجيّة.

– **إخوة يوسف**: ظهر إخوة يوسف فى القصّة فى موقفين، الموقف الأول عندما فكروا فى طريقة للتخلّص من يوسف، ليخلوا لهم وجه أبيهم؛ فتبيّن ليوسف أنّهم حاقدون عليه، وظهر له اتّحادهم على الباطل والظلم مقابل المصلحة الشخصيّة لكلّ منهم، فجاء الحديث عنهم بدعوتهم إلى القتل لتحقيق مصلحتهم الشخصية؛ اقتلوا يوسف، يخلُ لكم

وجه أبیکم، وتکونوا من بعده قوماً صالحین.

الموقف الثانی عندما أصاب القحط الإخوة العشرة، فجاؤوا إلی یوسف بعد طول مسیر وهم لایعرفونه، وشرحوا له حالهم وما أصابهم من قحط وجدب، وطلبوا منه العون. یتحدث مولانا عن مواصفات إخوة یوسف بقوله:

یوسفان از مکر إخوان در چَه اند　　کز حسد یوسف به گرگان می‌دهند
از حسد بر یوسفِ مصری چه رفت　　این حسد اندر کمین گرگی زفت
لاجرم زین گرگ یعقوب حلیم　　داشت بر یوسف همیشه خوف و بیم
گرگ ظاهر گیرْدِ یوسف خود نگشت　　این حسد در فعل از گرگان گذشت
زخم کرد این گرگ و زعذر لبق　　آمده که إنا ذَهَبنا نستبق

(المصدر نفسه: ۲۴۵)

– رموا یوسف فی الجب حسداً، وهم الذین سلّموه حسداً إلی الذئب. – فماذا جری لیوسف المصری من الحسد؟ هذا الحسد ذئبٌ ضخم مترصد. – فلا جرم أن کان یعقوب الحلیم دائم الخوف علی یوسف من هذا الذئب. – ذئب الظاهر لم یقترب فی الأصل من یوسف، وهذا الحسد فی فعله جاوز فعل الذئاب. – لقد طعنه هذا الذئب الباطن، ومن العذر اللبق جاؤوا قائلین: إنّا ذهبنا نستبق.

أشار مولوی فی هذه الأبیات إلی قول إخوة یوسف: یا أبانا، إننا مضینا نتسابق فی الرمی والجری، وترکنا یوسف عند متاعنا لیحرسه، فأکله الذئب ونحن بعیدون منه، مشغولون بالتسابق دونه، وما أنت بمصدّق لنا فیما نقوله لک، ولوکان ما نقوله الحقّ والصدق.کما جاء فی القرآن: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (یوسف: ۱۷) لجأ هؤلاء الإخوة إلی الحیلة للاستفراد بیوسف، لأن أباهم لایأمنهم علیه، ولذلک علیهم الاحتیال بطریقة لِأَخْذِهِ وعلیهم التفکیر بعد ذلک فی التخلّص منه، مع علمهم بما سیترکه تغییب یوسف عن أبیه من حزن وکمد، لأنّهم یعرفون مسبقاً تعلّق یعقوب بابنه یوسف، وهذا یؤکّد طمعهم وأنانیتهم وتفکیرهم السیّء وحبّهم لأنفسهم وادعائهم الکاذب بعلاقتهم بأبیهم یعقوب وعدم حبّهم له، وإلا لما أقدموا علی ما یحزنه ویؤذیه فی إبعاد یوسف عنه

بدعوى أنّ الذئب أكله وهم فى غفلة عنه.كما أنّ أخوة يوسف أدّوا دورين أساسيّين سواء أكان بالنسبة إلى يوسف أم إلى يعقوب، فبأنانيّتهم أفقدوا والدهم بصره بسبب حزنه الشديد على يوسف الذى غيّبوه عنه، ومن خلالهم عاد إليه بصره عندما رجعوا بقميص يوسف واشتمّ رائحته وكانت المعجزة الإلهيّة. تحوّلت شخصيّة هؤلاء بين أول القصّة وآخرها من الماسک بزمام الأمور والمستحكم بشخصية البطل والمتصرّف بأموره، إلى المستجدى؛ أمّا يوسف الضعيف أمامهم المستضعف فى نظرهم، فقد بات مصدر رزقهم وعيشهم، وهذا ما فعلوه عندما حلّ عام المجاعة والقحط حيث توجّهوا إليه طالبين المساعدة منه. وهكذا نرى الأمور قد انقلبت، فيوسف المستضعف الذى لا حيلة له أمام كيد إخوته، يتحوّل إلى صاحب القرار ومصدر الإغاثة والعون، وإخوته يتحوّلون بالعكس من أصحاب القوة والقدرة على التحكم إلى مجموعة ضعيفة، تستجدى طالبة العون، لكنّ المفارقة أنّ يوسف عندما كان قادراً على التشفّى لم يفعل ذلک، بل ساعدهم ولم يرجعهم خائبين مع معرفته بما فعلوه به وبوالده من همّ وحزن؛ وهكذا من خلال هذه الدراسة تمثّلت لنا جوانب كثيرة من شخصيّة إخوة يوسف كان للأحداث دور فى تكوينها.

- **عزيز مصر**: جاء فى قصّة يوسف وزليخا عند المولوى أنّشخصية العزيز تظهر مع بداية الأحداث، وذلک عندما اشترى يوسف بدراهم معدودة، وكان رجلاً عاقراً. وقال لزوجه أكرمى يوسف لعلّه ينفعنا. وفى هذا المشهد تظهر بعض صفات العزيز الذى لم يشفق على يوسف ولم يطلب من زوجه إكرامه، إلّا لسبب واحد فيه مصلحته الشخصيّة التى تتمثّل فى نقطتين: أولاهما تقديم المنفعة، وثانيتهما اتّخاذه ولداً. عندما رأى عزيز مصر الرؤيا التى أكلت فيها سبع بقرات سمان البقرات السبع العجاف، يرسل إلى يوسف لتعبير رؤياه، وقد يكون هذا عطف جزء من قصّة على آخر إكمالاً لوصف خلاص يوسف من السجن، لأنّه تعبير صادق: ﴿وَقَالَ الْمَلِکُ إِنِّى أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣) تجلّت هذه الآية فى أشعار المولوى بقوله:

آن عزيــز مصــر مــى ديدى بــه خواب     چــون كه چشــم غيب را شــد فتح باب

هفت گاو فربه بس پروری　　خوردشان آن هفت گاو لاغری
در درون شیران بُدند آن لاغران　　ور نه گاوان را نبودندی خوران
(المصدر نفسه، ج۵: ۷۹۷)

– ذلک الذی کان عزیز مصر یراه فی النوم، عندما انفتح الباب أمام عین غیبه. – رأی سبع بقرات سمان حسنة السمنة، أکلتها تلک البقرات السبع العجاف. – لقد کانت تلک السنین العجاف أسداً فی الباطن، وإلا لما کان لها أن تأکل الأبقار.

ظهرت عقلانیّة الملک ومنطقیته وحسن تفکیره وأخذه بالمنطق، عندما سمع یوسف واقتنع بتأویله، وعندما سمع منه خبر القحط، کأنّه الخبر الصادق؛ وأفاد من منطقه وعقلانیّته لمصلحته ولمصلحة حکومته، حکم بالإفراج عنه؛ وعندما اکتشف ذکاءه وقدرته الفکریّة الاقتصادیّة، ورأی فیه الشخص المناسب لیساعده فی حکم البلاد وقیادتها إلی برّ الأمان، وإنقاذ أهلها من المجاعة، أسند إلیه مقالید السلطة.

إنّ هذا الرجل یعلم رغبة امرأته بیوسف، ویسکت عن الحق، مع معرفته به، ویتغاضی عن خیانة زوجه أو محاولة خیانتها له مع تأکّده من ذلک. والسبب هو أن لا تنتشر الفضیحة خارج القصر، واکتفی من ذلک بالإقرار بالحقیقة أمام زوجه وأمام یوسف. وهذا الکلام دلیل علی اقتناعه أن زوجه هی التی راودت فتاها عن نفسه، ومع ذلک فإن ردّة فعله لم تتجاوز الطلب من یوسف الإعراضَ عن ذلک وعدم الکلام بهذه الفضیحة، والطلب إلی زوجه أن تستغفر ربّها لأنّها المذنبة. ﴿یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِی لِذَنبِکِ إِنَّکِ کُنتِ مِنَ الْخَاطِئِینَ﴾ (یوسف: ۲۹) من الناحیة النفسیّة بدا العزیز فی هذا المشهد رجلاً صبوراً علی الخیانة، فلم یدفعه خبر الخیانة إلی الغضب، وبدا إنساناً عقلانیّاً لجهة مصلحته الشخصیّة فقط، فکتم غضبه وتوجّه الیهما: للجانی بأن یستغفر ربّه، وللمظلوم السکوت عمّا حصل وعدم البوح به خوفاً من الفضیحة. أما من الناحیة الفکریّة الثقافیّة فإنّه یظهر إنساناً عقلانیّاً یأخذ بحکم المنطق، وتحلیل الشاهد المنطقی: ﴿وَإِنْ کَانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَکَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِینَ﴾ (یوسف: ۲۷) خیر دلیل علی أخذه بالمنطق وحکم العقل بعیداً من العواطف، وقبوله بهذا الحکم وإقراره بأنّ زوجه هی المذنبة، ولکنّ حکمه لم یکن علی أساس ما اقتنع به.

## الزمان وتجلّياته فى قصّة «يوسف و زليخا»

الزمن مفهوم مجرّد وهمى السيرورة، لا يُدرک بوجه صريح فی نفسه (لایسمع ولا یری ولایشمّ ولایلمس)، ولکنّه یُدرک بما یحیط بنا من أشیاء وأحیاء. (مرتاض، ۱۹۹۸م: ۲۰۶) والزمن بمساره الطبیعی یکون علی نحو متتابع: ماض - حاضر - مستقبل، ولکنّ مقتضیات السرد تفرض وجود الاستباق والاسترجاع؛ والتعامل مع الزمن یفترض وجود تقنیّة التلخیص والمشهد والثغرة وغیرها؛ لذلک یتداخل الزمن ویتغیّر بالتقدّم والتأخر عبر المسار السردی، کأن یحلّ الحاضر مکان الماضی أو یترک الماضی موقعه للمستقبل...کلّ هذا التبدّل یعتمده الراوی لغایات فنیّة تتعلّق بعنصر التشویق والجمالیّة. وبالعودة إلی دراسة التقنیّات السردیّة نبدأ فی هذه الدراسة باستعراض علاقات الترتیب ثم علاقات الدیمومة فی قصّة "یوسف وزلیخا" للمولوی.

**- علاقات الترتیب**

إنّ مقتضیات السرد کثیراً ما تتطلّب أن یقع التبادل فیما بین المواقع الزمنیّة، فإنّ الحاضر قد یرد فی مکان الماضی، والمستقبل قد یجیء قبل الحاضر وإذا الماضی قد یحلّ مکان المستقبل. (المصدرنفسه: ۲۲۰) فترتیب الأحداث فی العمل الفنی عملیّة تخضع لمهارة الراوی فی ترتیبها وتنسیقها وضبطها؛ فالراوی قد یلجأ إلی الانطلاق من وسط المتن الحکائی، وهو ما یسمّی بالنسق الزمنی المتقطّع، حیث یبدأ السرد من نقطة ما یختارها المؤلف من وسط الأحداث المحکیة. (بکر، ۱۹۹۸م: ۵۴) وانطلاقاً من ذلک تظهر بعض التقنیّات السردیّة کالاسترجاع والاستباق.

۱. **الاسترجاع:** وهو مخالفة عملیّة السرد التی تسیر فی خط زمنی متناسق، حیث یعود الراوی إلی حدث سابق، ویکون إمّا خارجیاً یفید استعادة ما حدث بعد بدء الزمن الروائی، أو مزجیاً یستعید ما مضی قبل بدء الزمن الروائی وبعده. (زراقط، ج۲، ۱۹۹۹م: ۷۰۶) وفی قصّة "یوسف وزلیخا" تبدأ الأحداث من البدایة باسترجاع یعود به بطل القصّة یوسف، ویشکّل فی الوقت نفسه استباقاً عند والده یعقوب، وهذا الاسترجاع کان بروایة یوسف للحلم الذی رآه فی المنام: ﴿اذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ﴾ (یوسف: ۴) وهذا الاسترجاع شکّل

نقطة الانطلاق فی قصّة یوسف.

| | |
|---|---|
| مــن نمی‌کــردم گزافــه آن دعــا | هم چو یوســف دیده بــودم خواب‌ها |
| دیــد یوســف آفتــاب و اختــران | پیــش اوســجده کنان چو چــاکران |

(مولــوی، ۱۳۸۴ش: ۴۵۹)

-لم أکن أنا أوجّه هذا الدعاء جزافاً، إنّنی مثل یوسف کنت قد رأیت الاحلام. - لقد رأی یوسف الشمس والکواکب ساجدة أمامه کأنّها الأتباع.

من هنا بدأت الأحداث تتتابع، إذ کشف هذا الحدث السابق وما تبعه من أحداث عن علاقة یوسف بأبیه من جهة، وعن علاقة یوسف بإخوته من جهة أخری، وکشف أیضاً عمّا هو علیه یعقوب من میزات تمیّزه من غیره من الناس العادیّین؛ فقد قرأ فی هذا الحلم أموراً مستقبلیّة کثیرة. هکذا تشکّل الاستباق من الاسترجاع نفسه، فحدّد من خلال هذا الحلم علاقة یوسف بإخوته وطریقة تعاطیهم معه، وأظهر خوفه علی ابنه مع ما یترتّب من هذا الحلم علی یوسف، فقال: ﴿یَا بُنَیَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْیَاکَ علی إِخْوَتِکَ فَیَکِیدُواْ لَکَ کَیْداً﴾ (یوسف: ۵) یترافق الاسترجاع فی کلام یعقوب دائماً مع الاستباق، حیث یؤکّد لیوسف (لاتقل رؤیاک).ثم یظهر الاسترجاع فی حدیث یوسف مع الفتیین فی السجن عندما بدأ بتفسیر الأحلام، فالاسترجاع هنا خدم دعوة یوسف، وحدّد من خلاله موقعه وعقیدته القائمة علی ما جاء به آباؤه بقوله: ﴿مَاکَانَ لَنَا أَن نُّشْرِکَ بِاللّهِ مِن شَیْءٍ﴾ (یوسف: ۳۸) ومن الاسترجاع فی هذه الآیة تظهر دلالات انطلاق یوسف بالدعوة، لتحدید مفهوم عقیدته، ثم یأتی الاسترجاع الداخلی عندما طلب الملک من یوسف أن یخرج من السجن ورفض الخروج إلا بعد إعلان براءته. وأکّدت امراة العزیز الأمر بأن عادت إلی الحدث السابق الذی راودت من خلاله یوسف عن نفسه. وهکذا فإنّ لهذه الآیة، وللاسترجاع فیها دوراً کبیراً فی تحدید مسار قصّة یوسف؛ فخروجه من السجن ارتبط بهذا الاسترجاع الذی قامت به امرأة العزیز التی لو لم تعد إلی الماضی وتعترف بما اقترفت یداها فیه لما خرج یوسف من سجنه.

**۲. الاستباق:** إن الاستباق فی الفن القصصی یعنی استشراف الأحداث اللاحقة لبدء زمن الروایة، وهو علی نوعین: خارجی یفید استشراف ما یحتمل وقوعه فی الزمن

القريب أو البعيد، وداخلى يفيد تصور ما يمكن أن يحدث من قبيل الخشية أو التمنى. (زراقط، ج٢، ١٩٩٩م: ٧٠٦) ومن الاستباقات الرئيسة فى قصّة يوسف وزليخا بدايتها بتأويل يعقوب لحلم يوسف الذى رواه له فى مطلع القصّة. وهذا الاستباق دفع بيعقوب إلى تحذير ابنه يوسف ألا يقصّ رؤياه على إخوته كى لايكيدوا له، لأنّه على علم مسبق بما يفكّر به الآخرون، وهو على يقين من أنّهم يكنّون له كراهية وحسداً. عندما يقول المولوى: لم أكن أنا أوجّه هذا الدعاء جزافاً، إنّنى مثل يوسف كنت قد رأيت الأحلام. لقد رأى يوسف الشمس والكواكب ساجدة أمامه كأنّها الأتباع. فكان الاستباق الأول الذى حدّد من خلاله يوسف وموقعه وحدّد مستقبله ومصيره بعد أن كاد له إخوته؛ فيعقوب قد أكّد كيدهم له، وأكّد النتيجة مسبقاً مطمئناً يوسف بعد أن حذّره من إخوته. تتحدّد فى هذه الأبيات مجموعة استباقات تسهم فى توضيح الصورة المستقبليّة ليوسف، ويتّخذ كل فعل فيها دوراً كبيراً، فيقرّر مصير يوسف بعد كيد إخوته له ومحاولتهم التخلص منه، بقوله وكذلک ينجيک ربّک، وهذا ما حصل عندما التقطه بعض السيارة. وبعد انتشار الخبر بين نسوة المدينة حول علاقة زليخا بيوسف إذ استبقت الأحداث فكان استباقها داخليّاً، لأنّها تصوّرت ما يمكن أن يحدث لدى رؤية النسوة ليوسف وردّة فعلهن، وهذا ما كانت تتمنّى حصوله كى توقف ألسنتهنّ عن الكلام. أرادت زليخا بهذا التصوّر أن تخفّف من لوم النسوة لها وأن تُظهر لهنّ أن ما فعلته لاتلام عليه، لأنّ كلّ واحدة منهنّ ترغب فى التقرّب منه لدى رؤيته، وإلّا لما وصل بهنّ الأمر إلى حدّ الدهشة التى أدّت إلى أن تجرح كل واحدة منهنّ يدها لدى رؤيته فى أثناء خروجه عليهنّ.ظهر الاستباق الثالث من خلال تفسير يوسف أحلام الفتيين فى السجن، وصولاً إلى تفسير حلم الملک. وهكذا فقد استبق يوسف الأحداث وحدّد مصير كلّ من الفتيين؛ وفى هذا الاستباق اعتراف من يوسف بأنّ هذا من تعليم الله إيّاه لأنّه مؤمن به موحّد له. ونجد استباقاً آخر فى تفسير حلم الملک، حيث تحدّد فيه وضع البلد الاقتصادى وما سيحلّ به نتيجة القحط لسنوات كثيرة. فأكّد أنّ البلاد مقدمة على سنين من الخصب ويعقبها سبع سنين قاحلة،ثمّ يأتيهم عام الغيث والخصب والرفاهية. (ابن كثير، ج٤، ١٩٩٩م: ٣٩٢) بعد ذلک أرشدهم يوسف إلى ما يعتمدونه فى خصبهم وفى جدبهم إبعاداً للمجاعة والفقر.

- **علاقات الديمومة:**

إن علاقات الديمومة فی عالم السرد تُدرس من خلال التلخيص والمشهد والقفرة، وهذه التقنيّات كافية لتحديد مدى التناسب بين سرعة النص وديمومة الحدث.

١. **التلخيص:** هو هذا الإيقاع المتسارع للسرد، وتلخيص لأحداث كثيرة فی سطور قليلة، فبه يتمّ قياس أو ضبط مدى سرعة السرد، حيث يمرّ الراوی مروراً سريعا فی سرده لأحداث كثيرة دامت فی الواقع فترات زمنيّة طويلة، لكنّها لُخّصت فی النص ومرّ الراوی عليها مرورا سريعا من خلال تقديم عام للمشاهد والربط بينها. ونجد التلخيص فی قصّة يوسف وزليخا فی غير مشهد، حيث اختُصرت الاحداث ليوسف ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ على أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (يوسف: ٢١ – ٢٣) ففی هذه العبارات تُختصر سنوات مكث فيها يوسف فی بيت العزيز، وفيها قدم تلخيص بعض الأحداث التی تتعلّق بالشخصيّة الرئيسة، وقدّم بعض الصفات التی اتّسمت بها فی هذه المرحلة من الزمن، وقُدّمت شخصيّة جديدة هی امرأة العزيز التی اعجبت خلال هذه السنوات بشخصيّة يوسف وأُغرمت به، إلی أن وصلت إلی درجة روادته فيها عن نفسه.كذلک ظهرت تقنيّة التلخيص فی أثناء الحديث عن مكوث يوسف فی السجن لبضع سنين، فاختصر الشاعر الراوی المشهد الحواری بين يوسف والرجل:

| | |
|---|---|
| ياد مـن كن پيـش تخت آن عـزيز | تـا مـرا او وا خـرد از حبـس نيز |
| كـی دهـد زندانيـی در اقتنـاص | مـرد زندانـی ديگـر را خـلاص |
| پس جـزای آنكه ديـد او را معين | ماند يوسـف حبـس در بضع سـنين |
| ياد يوسـف ديـو از عقلش سـترد | وز دلـش ديو آن سـخن از يـاد برد |

(مولوی، ١٣٨۴ش: ١١٠٧)

– أذكرنی أمام عرش ذلک العزيز،حتّی يخلّصنی أيضاً من هذا السجن. – متی يخلّص سجين فی الأسر سجيناً آخر! – لبث يوسف فی السجن بضع سنين. – لقد محا الشيطان ذكر يوسف من خاطره، محا الشيطان من قلبه هذه الوصية.

بعد خروج الرجل من السجن وإنهماكه بمسؤوليّاته نسی ذكر يوسف وقصّته، فمكث

فى السجن بضع سنين. (شلبى، ۱۹۷۴م: ۸۸)

هفت گاو لاغر پر از گزند / هفت گاو فربهش را میخورند

هفت خوشه زشت خشک ناپسند / سنبلات تازه اش را می چرند

قحط از مصرت برآمد ای عزیز / هین مباش ای شاه این را مستجیز

(مولوی، ۱۳۸۴ش: ۱۰۸۰)

– هناک سبع بقرات عجاف شديدة الأذى، تأکل البقرات السمان السبع. – السنبلات السبع المکروهات اليابسات ترعى السنبلات النضرات. – قد ظهر القحط فى مصر أيّها العزيز، فهيّا ولا تُجز هذا أيها المليک.

لم يُذکر أىّ حدث فى هذه السنوات، ولم يلتفت أحد إلى يوسف إلاّ بعدما رأى الملک فى المنام رؤيا البقرات السبع السمان تأکلهنّ سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات... وبعدما عجز العلماء عن تأويل هذا الحلم، تدخّل الفتى الذى نجا من السجن وتذکّر بعد مدّة، وکان تذکّره بعد بضع سنين. (شلبى، ۱۹۷۴م: ۸۹)

**۲. المشهد:** المشهد هوترکيز وتفصيل للأحداث بکل دقائقها. (القاضى، ۲۰۱۰م: ۳۹۴) وتکون مساحة النص فيه أکبر من سرعة الحدث. وقد ظهر المشهد فى هذه القصّة بترکيز الأحداث وتفصيلها. ورد المشهد الأول فى بداية القصّة عندما بدأ إخوة يوسف بالتآمر عليه، والتفکير بطريقة للتخلّص منه، وحوارهم مع أبيهم ومحاولتهم إقناعه بأن يترک يوسف معهم. وفى هذا المشهد تبدّت شخصيّات إخوة يوسف وحسدهم الذى أدّى ببعضهم إلى التفکير بالقتل وببعضهم الآخر إلى الابتعاد من ذلک، إلى أن استقرّ الرأى على رميه بالجب ليلتقطه أحد السيّارة، ويبعد من وجه أبيهم. فإخوة يوسف قرّروا إبعاد يوسف ونفيه، لما يشکّله من خطر على علاقتهم بأبيهم. وهکذا فإن رصد التفاصيل يؤدّى إلى الإحساس ببطء ملحوظ فى حرکة الزمن داخل المشهد، بما يتناسب مع أهميّة الحدث. (بکر، ۱۹۹۸م: ۱۰۱) وهذا ما أکّدته هذه المشاهد بإظهار أهميّة الحدث، سواء فى ما يتعلّق بمشهد رمى يوسف فى الجبّ أم فى ما يتعلّق بموقف يوسف من امرأة العزيز العاشقة، وفى کلا المشهدين عرض لصراع بين فئتين فى المجتمع، فئة تمثّل الخير والإيمان وهى ضحيّة الحسد، وفئة تمثّل الشرّ والغرائز والماديّات، وفى کلا

الحالین کانت الفئة الأولی فی کل مرّة هی الضحیّة. فی المشهد الأول کانت الفئة الأولی (یوسف ویعقوب) ضحیّة الغدر والأنانیّة، وفی المشهد الثانی تظهر شخصیّات إخوة یوسف وحسدهم ونفسیّاتهم. وقد أشار المولوی إلی مشهد القصة بقوله:

از پدر چون خواستند آن دادَران — تا بردنش سوی صحرا یک زمان
جمله گفتندش میندش از ضرر — یک دو روزش مهلتی ده ای پدر
تو چرا ما را نمی داری امین — یوسف خود بسپری با حافظین
تا بهم در مرجها بازی کنیم — ما در این دعوت امین ومحسنیم
گفت این دانم که نقلش از برم — می فزود در دلم درد وسقم
این دلم هرگز نمی گوید دروغ — که ز نور عرش دارد دل فروغ
آن دلیل قاطعی بُد بر فساد — وز قضا آن را نکرد او اعتداد

(مولوی، ۱۳۸۴ش: ۱۰۷۹)

– عندما طلب إخوته الکبار من أبیهم أن یأخذوه إلی الصحراء برهة من الزمان. – قالو له جمیعاً: لاتفکّر فی الضرر، وأمهلنا یا أبانا یوماً أو یومین. – لماذا لاتثق بنا وتُلحق یوسف مع الحافظین. – حتّی نلعب معاً فی المروج ونحن فی هذه الدعوة أمناء محسنون. – قال: إنّ ما أعمله أنّ نقله من جواری یزید فی قلبی الألم و السقم. – قلبی هذا لایکذّبنی أبداً، فإنّ فیه ضیاء من نور العرش. –کان هذا هو الدلیل القاطع علی فساد «الإخوة» وشاء القضاء ألا یعتد به.

فالدائرة الکبری فی هذه القصّة هی أرض الصحراء والمروج.

**۳. القفزة**: إذا کانت القفزة تعنی تحرّک السرد بسرعة، وإذا کانت تعنی إهمال مرحلة من زمن الحکایة وإسقاط کل ما تنطوی علیه من أحداث، فإنّها تتمثّل فی قصّة یوسف خیر تمثیل، عندما أُسقطت مدّة من زمن السرد القصصی فی هذه القصّة، ولم یذکر من هذه الفترة الطویلة إلا حلم الملک حیث عبّر عنه الشاعر کما جاء فی القرآن بقوله:

هفت گاو لاغر پر از گزند — هفت گاو فربهش را میخورند
هفت خوشه زشت خشک ناپسند — سنبلات تازه اش را می چرند

قحــط از مصــرت برآمــد ای عزیــز هیــن مبــاش ای شــاه ایــن را مســتجیز
(مولــوی، ۱۳۸۴م: ۱۰۸۰)

– هناک سبع بقرات عجاف شدیده الأذی تأکل البقرات السمان السبع. – السنبلات السبع المکروهات الیابسات ترعی السنبلات النضرات. – قد ظهر القحط فی مصر أیّها العزیز، فهیّا ولا تجز هذا أیها الملیک.

من هذه الأبیات یتّضح إسقاط فترة مکوث یوسف فی السجن، وعدم ذکر أی حدث فیها سوی حدث الحلم الذی بدا أنه کان فی آخرها. هنا تُختصر سنوات مدیدة بدأت عندما خرج الفتی الذی نجا من السجن إلی حین تأویل یوسف حلم الملک، وأمر الملک بإخراجه من السجن. بما أنّ هذه الحقبة الزمنیّة لم یکن فیها أیّ حدث أساسی یتعلّق بیوسف ودعوته، فقد عُدّت أحداثاً عابرة لا تأثیر لها فی مجری الأحداث، فالحدث قد تأزّم منذ اللحظة التی خرج فیها الفتی من السجن وأنسته مشاغله یوسف ووصیّته، والحلّ لا یکون إلاّ بتبرئة یوسف وإخراجه من السجن، هذه البراءة ظاهرة ولکنّها تحتاج إلی من یغیّر رأی الملک، وإلی دافع یکون أکبر من خوفه علی السمعة وحرصه علی ما طلبته زوجه، فکان الحلم الذی أقلقه وکان وجود یوسف وتأویله للحلم هو المطمئن له، وکانت فترة السجن التی مکثها کافیة لیوسف مع علمه بحقیقة براءته، فبدأت الأحداث تمیل إلی الحلّ. هذه السنوات السبع التی أسقطت من زمن الأحداث وزمن السرد القصصی کان فیها أکثر من هدف، منها تحقیق العقاب بناء علی رغبة زوج الملک لإبعاد التهمة عن نفسها، ومنها أنّ هذا المکوث کان درساً لیوسف النبی، فهو ذو مقام خاصّ عند الله، وبالتالی یجب أن یطلب خلاصه من ربّه لا من الملک الذی ظلمه وهو علی یقین من ظلمه، ومن الطبیعی أن یسعی رجل مظلوم إلی رفع الظلم عن نفسه، ولکنّ هذا یکون مباحاً بل مطلوباً فی من هم دون مقام یوسف، أمّا هو فله مقام آخر عند الله. (شلبی، ۱۹۷۴م: ۸۹) ولذلک کان الردّ أن الشیطان أنسی الفتی الذی نجا ذکر یوسف عند ربّه، وکانت النتیجة أن قضی یوسف فی السجن بضع سنین.وکان سجنه درساً له.

## المکان وتنوّعه الوظیفی فی قصّة «یوسف وزلیخا"

إنّ اختیار المکان فی العمل القصصی لایکون عبثیّاً، لأنّ الأماکن مرتبطة بالزمان

وبالشخصيّات؛ فقد يطرأ تحوّل على الشخصيّة نتيجة لتغيّر المكان أو الانتقال من مكان إلى آخر. وأهميّة المكان فی الفنّ القصصی ترجع إلى ارتباط المكان بالوصف مثلما يرتبط الزمان بالسرد، ويؤكّد علاقة الشخصيّة بالمكان وارتباطها به.

١. **المكان دوائر ومكوّنات:** لقد أدّى المكان دوراً أساسيّاً فی بداية القصّة، إلاّ أن دوره بدأ بالخوف مع بداية الحوار بين يوسف ويعقوب، إذ اقتصر هذا الحوار على محاولة إقناع الأب بعدم البوح بالرؤيا، لأنّه يخاف حسد الإخوة. وهناک حوار أشقّاء يوسف عندما أرادوا قتله أو طرحه فی الجبّ. وقد أشار المولوی متأثرا بالقرآن إلى الصحراء واللعب وقرار الإخوة بقوله:

از پـدر چـون خواسـتند آن دادَران | تـا بردنش سـوی صحرا يـک زمان
جملـه گفتنـدش مينـدش از ضـرر | يـک دو روزش مهلتـی ده ای پـدر
تـو چـرا مـا را نمـی‌داری اميـن | يوسـف خـود بسـپری بـا حافظين
تـا بهـم در مرجهـا بـازی کنيـم | مـا در ايـن دعوت امين و محسـنيم

(مولـوی، ١٣٨۴ش: ١٠٧٩)

نلحظ هنا أنّ الدائرة الكبرى فی هذه المجال هی أرض الصحراء والمروج. اشارة إلى هذه الآية ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ (يوسف: ١٢)

٢. **مكوّنات الدائرة:** تضمّ هذه الدائرة مجموعة من المكوّنات منها:

**الف-الجبّ:** إنّه مكان النفی والإبعاد ومكان البراءة والخلاص بالنسبة إلى إخوة يوسف، والمكان هو الذی أسهم فی تحوّل مجری الأحداث وتغيير حياة الشخصيّات، فهو مكان إنقلاب حياة يعقوب من فرح وأمان إلى حزن وشقاء، ومكان خلاص أبناء يعقوب ممّن سلب قلب أبيهم وأبعدهم منه حسب ظنهم، ومكان خلاص يوسف من غدر إخوته وحسدهم، وكذلک هو مكان تحوّل شخصيّة يوسف من ابن مدلّل إلى عبد يباع بثمن بخس ولكن بعد هذا البيع ما بعده! وقد حمل هذا المكان دلالة تؤكّد عزم الإخوة على الاجرام الحقيقی فهم أبناء يعقوب النبی. الجبّ الذی ببيت المقدس هو مكان الإبعاد، وهو دليل على عدم إقدام الإخوة على القتل إنما الاكتفاء بالنفی والإبعاد، والحجّة الفضلی هی: أكله الذئب. يقول المولوی:

| | |
|---|---|
| یوسـفان از مکـر إخـوان در چَـه اند | کز حسـد یوسـف بـه گـرگان می‌دهند |
| از حسـد بر یوسـفِ مصری چـه رفت | ایـن حسـد انـدر کمین گرگـی زفت |
| لاجـرم زیـن گـرگ یعقـوب حلیم | داشـت بر یوسـف همیشـه خوف و بیم |
| زخـم کـرد این گـرگ و ز عـذر لبق | آمـده کـه إنّـا ذَهَبنـا نسـتقبق |

(مولوی، ۱۳۸۴ش: ۲۴۵)

– يُرمى أمثال يوسف فى الجب من خوف الإخوان الذين يسلّمون يوسف حسداً إلى الذئب. – فماذا جرى ليوسف المصرى من الحسد؟ هذا الحسد ذئبٌ ضخم مترصّد. – فلا جرم أنّ يعقوب الحليم كان دائم الخوف على يوسف من هذا الذئب. – الذئب الظاهر لم يقترب فى الأصل من يوسف، وهذا الحسد فى فعل الإخوة جاوز فعل الذئاب. – لقد طعنه هذا الذئب الباطن، ومن العذر اللبق جاء قائلاً: إنّا ذهبنا نستبق.

ما يصفه القرآن فى الجب والصحراء يستطيع القارىء أن يتخيّله، ويتخيّل يوسف فى الجب الذى يحتويه ظلامه الموحش، قد تهدأ خفقات قلبه المرتعشة عندما يذكر قوله: ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَاتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ (يوسف: ١٠) وفى هذا دليل على عدم إقدامهم على القتل، بل النفى والإبعاد، وهذا يعنى أنّ الجبّ هو المكان المقترح للتخلّص من يوسف... فالجبّ رمز الابتلاء والانطلاق، فمنه كانت انطلاقة يوسف إلى دائرة ثانية،كان له فيها أيضاً محطّات متعدّدة.

**ب. مصر:** شكّلت أرض مصر المحطّة الثانية التى حطّ فيها يوسف رحاله، دون أن يكون له دور فى هذا الخيار، فالأقدار ساقته إلى هناك بقدرة الله، وكذلك عندما التقطه بعض السيّارة.وأرض مصر هى مكان المحنة الثانية، إذ ما كاد يخلد إلى حياة هادئة فى قصر العزيز حتى ابتدأت الأيام تحوك له محنة أخرى جاءته بسبب حسنه وجمال طلعته وأثرها فى مشاعر امرأة العزيز تجاهه، فشقى وتعذب بسبب هذا الحسن وتلك المشاعر، ولقى فيه ما لاقاه من عذاب السجن الذى كان أبرز مكونّات أحداث هذه الدائرة. أظهرت أرض مصر من خلال الأحداث التى دارت فوقها طبائع الناس هناك، كما أظهرت دور المرأة فى الحكم، وظهر الفساد الذى قوبل بالجرأة والحكمة والايمان. اتّضح الفساد من خلال امراة العزيز وشهواتها الجسديّة، وطريقة إظهار يوسف موضوع سمر بين نسوة

مصر. كانت دائرة الفساد تبدأ بها وبخيانتها لزوجها وانقيادها لرغبات جسدها وشهواتها، يضاف إلى ذلک ما مثّلته نسوة المدينة من استغلاليّة بتشويه سمعة القصر، وهذه الإساءة إلى زوج الملک تؤكد الغيرة الكامنة فی صدورهنّ، وتؤكّد أجواء الفساد. يقابل ذلک دائرة الحكمة والجرأة التی ظهرت من خلال حكمة يوسف فی ردع إغراءات امراة العزيز واعترافه بالحقيقة دون خوف. ظهرت حنكة المرأة بإتّهامها يوسف بالاعتداء عليها وإظهار غضبها. ومن هذا الكلام يظهر أنّ أرض مصر يحكمها رجل خاضع لأهواء زوجه ورغباتها بعيداً من الحقيقة. كما أنّ هذه الدائرة مثّلت تحوّلاً كبيراً فی شخصيّة يوسف، وأكّدت تحقيق نبوءة أبيه يعقوب فی كنعان عندما روی يوسف رؤياه. هی دائرة تحقّق الحلم واكتمال الشخصيّة وتأويل الأحاديث وإتمام النعمة. وشهرة يوسف بتأويل الأحلام أدّت إلى استلام زمام الحكم، وأصبح يوسف بين عشيّة وضحاها وزيراً مطلق اليد نافذ السلطان، ومقرّه ملتقی الوفود، وقد كان بالأمس سجيناً أسيراً، ومن قبل غلاماً يباع ويشری.

قحط از مصرت برآمد ای عزيز　　　قحط از مصرت برآمد ای عزيز

(مولوی، ۱۳۸۴ش: ۱۰۸۰ )

– ظهر القحط فی مصر أيّها العزيز، فهيّا ولاتجز هذا أيها المليک.

هذه الدائرة مثّلت أرض الخصب، مع أنّ القحط قد يصيبها، والحلم والواقع أكّدا ذلک فكانت أعوام الجدب والقحط بين أعوام الخصب والغلال وصفاء العيش «فسبع سنوات تكونون فی أخصب تربة، تأتی فی أعقابها سبع شداد يظلّكم فيها الأمل وتكشف لكم الأيام عن سحاب خلّب ووميض خادع ينقص النيل فلا يفی بوعده...وتنحلّ عقد الامور، ويظلّكم عام خصيب تغاثون فيه من شدّتكم وتصلحون ما فسد من أموركم.» (جاد المولی، ۲۰۰۰م: ۹۳)

ج. **بيت العزيز**: يظهر دور هذا المكان عندما قامت زليخا بإغلاق الأبواب، واستطاع يوسف أن يفلت من يدها. وعندما توكّل يوسف علی الله وتحرّک انفتح القفل والباب، وبيت العزيز هو المكان الأول بعد غياهب الجب، وفيه أحسّ يوسف بأنّه سيخلد إلى حياة هانئة هادئة. هذه البداية فی منزل العزيز كانت تمكيناً ليوسف حيث جُعل له مقام

عزيز هناک، وتعلّم تأويل الأحاديث وبرع فی ذلک. وقد خصّ الله يوسف بمنزل كهذا فيه الخدم والحشم والأمر والنهی، ربّما لتدريبه على مباشرة السلطات ومهمّات المناصب فی المستقبل، وهذا ما حصل، إلّا ان هذا المنزل مثّل وجود فئتين على أرض الواقع، وصراعهما يؤكّد مجموعة دروس ذات صلة بالنواحی الاجتماعيّة الأخلاقيّة، إذ مثّل القيم والأخلاق التی اعتمدها يوسف بتصرّفاته، كما مثّل الفساد والانحلال الخلقی من خلال تصرفات امراة العزيز تجاه فتاها. هی دروس أراد الله منها أن يفيد الناس من بعد يوسف بضرورة التمسّک بالمبادئ وعدم التخلی عنها، وعدم الانجرار وراء المصالح والشهوات.

| | |
| --- | --- |
| گـر زليخـا بسـت درهـا هـر طرف | يافت يوسـف هم ز جُنبِـش مُنْصَرَف |
| چـون تـوكل كـرد يوسـف برجهيد | بـاز شـد قفـل درو ره شـد پديـد |
| گـر چـه رخنه نسـبت عالـم را پديد | خيـره يوسـف وار میبايـد دويـد |
| تـا گشـايد قفـل وره پيـدا شـود | سـوی بيجايـی شـما را جـا شـود |
| آمـدی انـدر جهـان ای مُمْتَحَـن | هيـچ میبينـی طريـق آمـدن |

(مولوی، ۱۳۸۴ش: ۸۰۵)

– إذا كانت زليخا قد غلّقت الأبواب من كل جهة، ويوسف(ع) وجد من الحركة المنصرف. – عندما توكل يوسف على الله وتحرّک انفتح القفل والباب، واتّضح الطريق. – إن لم تكن فرجة واحدة ظاهرة وموجودة، فينبغی السعی، كما فعل يوسف. – حين يفتح القفل ويبدو الطريق، يصبح لک منفذٌ إلى اللامكان.– أيّها الممتحَن، لقد جئت إلى الدنيا، فهل تراک رأيت قطّ الطريق الذی جئت منه.

كان يوسفُ من أجمل البشر كما هو معروف، وكان كضَوءِ النَّهار ونور الشَّمسِ بحيث لايستطيعُ آدمیٌّ أن يصِفَهُ. وهذا هو قصر العزيز، مكان جلوس الأشراف والماديّين الذين يحظون فيه بالجاه، فيه الكثير من خبايا النفس البشريّة. وقد أدّى هذا المكان دوراً كبيراً فی تحوّل شخصيّة يوسف من إنسان مملوک إلى إنسان رفيع المستوى، نال إعجاب نسوة المدينة وعلى رأسهنّ زوج الملک، ثمّ إلى سجين معذّب ظلماً فإلى صاحب سلطان ونفوذ.

د. **السجن:** السجن مكان أساسى من دائرة مصر، لأنّه مكان المحنة الثالثة التى ابتلىَ بها يوسف. وهنا تظهر المفارقة، إذ كيف لإنسان أن يفضّل ما يكرهه الناس على ما تهواه النفس البشرية؟ وهذا ما أكّده يوسف بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلى مِمَّا يَدْعُونَنِى إليه﴾ (يوسف: ٣٣) فرحلة السجن بدأت بعد محنة الإغراء التى رفضها يوسف، وغدا السجن مكان الإنسان المكشوفة براءته، وكان نجاة له من الفتنة التى تعرّض لها، هذا المكان الإجبارى المناقض للحركة والحريّة والدعوة إلى الله بين الناس أدّى دلالات كبيرة، وهذه الدلالات أفرزها الواقع الاجتماعى وحياة القصر بما فيها من مادية وبطش مقابل المصالح والفساد الأخلاقى. والملک مقتنع ببراءة المتّهم ومع ذلک يحكم عليه بالسجن، والمدة طويلة تُنسى فضيحة زوجه فى قصره مع أحد خدمها، فكان السجن عقاباً للبرىء، ومكان صاحب المبدأ الثابت. من هذا السجن كانت انطلاقة الدعوة حيث بدأ يوسف بدعوة صاحبيه فى السجن ومن معهم إلى عبادة الله، فالسجن لم يستطع أن يقف حائلاً دون تحقيق هدفه ونشر دعوته. نجد هنا إشارة إلى ضغط امرأة العزيز على يوسف وفى النهاية ينتهى بسجنه بقوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾ (يوسف: ٣٢) يقول الشاعر:

آنچنان که یوسف از زندانیی — با نیازی خاضعی سعدانیی
خواست یاری گفت چون بیرون روی — پیش در کار گردی مستوی
یاد من کن پیش تخت آن عزیز — تا مرا او واخرد از حبس نیز
کی دهد زندانیی در اقتناص — مرد زندانی دیگر را خلاص
زان خطایی کامد از نیکو خصال — ماند در زندان ز داور چند سال
پس ادب کردش بدین جرم اوستاد — که مساز از چوب پوسیده عماد

(مولوی، ١٣٨٤ش: ١١٠٧)

– مثل يوسف الذى طلب العون من سجين بضراعة وخضوع وتذلّل. – طلب العون وقال: عندما تخرج تستوى أمورک عند الملک. – أذكرنى أمام عرش ذلک العزيز، حتّى يخلّصنى أيضاً من هذا السجن. – متى يخلّص سجين فى الأسر سجيناً آخر! – سبب ذلک الذنب الذى بدر من حسن الخصال، بقى فى السجن بحكم الإله بضع سنين. – ثم

أدّبه الأستاذ لهذا الجرم قائلاً له: لا تجعل لک عماداً من خشب الباب المنخور.

فيوسف عليه السلام يعرف أنّه من البشر؛ وإنْ لم يصرف الله عنه كيدهُنَّ؛ لاستجاب لغوايتهن ولأصبح من الجاهلين الذين لا يلتفون إلى عواقب الأمور. (الشعراوى، ج۱۱، ۱۹۹۱: ۶۹۴۴) ومع أنّ السجن أمر كريه تأباه النفس الإنسانيّة؛ إلّا أنّه قد فضَّله على معصية خالقه، ولجأ إلى المُربِّى الأول، لتأتى الاستجابة منه سبحانه.

هـ . **المقرّ الذى جلس فيه يوسف حاكماً**: تسير الأحداث فى هذه القصّة وفق أمكنة متنوّعة فى دلالاتها، وقد أسهمت هذه الأماكن إلى حد ما فى التأثير فى شخصيّة يوسف وفى بعض التحوّلات التى طرأت عليه. وإتمام النعمة على يوسف كان بتبوّئه مقاليد الحكم فى القصر وجمعه بأهله تحقيقاً لنبوءة أبيه يعقوب. القصر الذى كان فيه يوسف خادماً مملوكاً كان رمزاً للفساد والانحلال الأخلاقى والظلم فى الحكم، ولكنّ المكان الذى جلس فيه يوسف حاكماً بات رمز العدل والمساواة والعفو عند المقدرة، والتسامح بعيداً عن روح الانتقام، ومقرّ يوسف بعد سجنه بات مكان الائتلاف العائلى وجمع ما تفرّق من قبل وما فرقته الأحقاد والغيرة، وهو مكان جمع يوسف بأهله كلّهم. يقول المولوى:

نموديم تمكين يوسف بسى ‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌ چو او در زمين نيست ديگر كسى

بود هر كجا راى كامش بود ‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌ مراد دل از تمامش بود

(مولوى،۱۳۸۴ش: ۱۹۰)

– لقد مكّنّا ليوسف كثيراً،فلم يكن مثله فى الأرض شخص آخر– تحقّق له كلّ ما يريد، وتمّ له منّا مراد قلبه.

أنعم الله على يوسف نعمة جليلة، فجعل له سلطاناً وقدرة فى أرض مصر، فأدار شؤون مصر بصورة حازمة عادلة؛ واتّخذ لنفسه غير مكان للإقامة، ﴿وَكَذالِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ (يوسف: ۵۶) نفهم من هذا أنّه جعل لنفسه بيتاً فى أكثر من مكان؛ ولايَظُنَّنّ ظَانٌّ أنّ هذا لَوْنٌ من اتّساع أماكن التَّرَف. عندما ننظر اليه بعيون تكشف حقيقة رجال الإدارة فى بعض البلاد؛ فما أنْ يعلم المسؤولون بوجود بيت للحاكم فى منطقة ما حتّى يزوروه؛ وتراهم يعتنون بالمنطقة التى يقع فيها هذا البيت.

وهذا ما نراه فی حیاتنا المعاصرة، فحین یزور الحاکم منطقة ما فَهُمْ یُعیدون رَصْف الشوارع؛ ویصلحون المرافق. ویوسف المُمکّن فی الأرض له مسکن مجاور له؛ وسیجد عنایة الجهاز الإداری حیثما ذهب. وهنا سنجد الإحسان یُنسب إلی یوسف؛ لأنه حین أقام لنفسه بیتاً فی أکثر من مکان، انعکس ذلک إیجابیّاً علی قاطنی الأمکنة التی له فیها بیوت؛ بارتفاع مستوی الخدمة فی المرافق وغیرها. وسبحانه یجازی المحسنین بکمال الأجر وتمامه، وقد کافأ یوسف علیه السلام بالتمکین فی السلطة مع محبة من تولّی أمرهم. (الشعراوی، ج١١، ١٩٩١م: ٧٠٠٣)

وقد ظهر المکان فی قصّة یوسف من خلال مستویات هی: مستوی الواقع والوهم، ومستوی المکان المعادی والألیف.

١. **المکان الواقعی والمکان الوهمی**: إنّ سعی المولوی إلی الالتزام بقضایا تتناول الدعوة ونشرها والاصلاح العقائدی والفکری والاجتماعی والصلاح الشامل عن طریق أفکاره، کان السبب فی اعتماد عالم الواقع والانطلاق منه، بعیداً من الوهم والخیال،خصوصاً فیما یتعلّق بحیاة الأنبیاء والرسل، وبهذا نجد المکان نفسه واقعیّاً بالنسبة إلی جماعة، ووهماً بالنسبة إلی جماعة أخری. أمّا فی قصّة (یوسف وزلیخا) فإنّ الأماکن فیها قد ظهرت علی حقیقتها، واعتمدت عالم الواقع بوصفه مرجعاً لأحداث حصلت فی الحقیقة وهی فی صلب تطلّعات النفس البشریّة. توزّعت أمکنة القصّة بین بلاد الشام وأرض مصر، وذلک من أجل إکسابها البعد الواقعی، هناک بیت یعقوب أو (کلبه أحزان) یعنی: (بیت الأحزان) وما یحویه من عائلة متنوّعة الأفکار مختلفة الطباع. ولیس غریباً علی بیت فیه هذا العدد من الأبناء أن لا یکون بمنأی عن مشاعر الغیرة والحسد التی تنتاب بعضهم. ومن الأمکنة التی ذکرت الجب، ذاک المکان الواقعی لبعث الحیاة لا لسلبها،کما حاول إخوة یوسف.ثمّ هناک منزل العزیز وما فیه من مشکلات أخلاقیّة وفساد بین غرفه وحنایاه، یضاف إلی ذلک السجن الذی أخذ صبغة الواقع بما ضمّه بین جدرانه من أناس مظلومین ومن أحداث تحصل فی داخله. إنّ أسماء هذه الأماکن کلها هی من صمیم الواقع، وهی موجودة فعلاً فی العالم الحقیقی علی الأرض؛ وقد ذکر مولوی أسماء مثل مصر وچاه (الجب) وزندان (السجن) وقصرالعزیز، وهذا ما جعل قصّة یوسف فی

صميم الواقع الإنسانی، لما تناوبها من أحداث تتعلّق بالنفس البشريّة، مسرحها أماكن من عالم الواقع، وشخصيّاتها تتنوّع بطبائعها وطرائق تفكيرها ومعتقداتها، وأحداثها تنطلق من الواقع الإنسانی، بكلّ تعقيداته وتشعّباته.

**۲. المكان المعادی والمكان الأليف:** إن تحديد موقع الأمكنة فی قصّة «يوسف وزليخا» بين معادية وأليفة يكون انطلاقاً من مواقف الشخصيّات وعلاقتها بهذه الأمكنة ونظرتها إليها، فهناک أماكن أليفة فی القصّة تكون مدعاة للراحة والاستقرار عند الشخصيّة، وأماكن غير أليفة لا تألفها الشخصيّة بل تنفر منها. وفی قصّة يوسف نجد بيت يعقوب المكان الأول، حيث يشكّل مكاناً أليفاً للجميع بدءاً بيوسف إلی بنيامين إلی إخوتهما، حيث يسعی الأفراد جميعاً إلی جعله المكان المحبوب والمشتهی. المكان الذی قصده إخوة يوسف للكيد به بعيداً من عينی أبيه بات يمثّل المكان الأليف بالنسبة إلی الإخوة، أمّا لدی يعقوب فإنه كان رمز المكان المعادی المكروه، لأنّه سبّب حزناً وكمداً ليعقوب. أما بالنسبة إلی يوسف فإنّه كان رمز الخوف والعذاب، ورمز النفی والإبعاد وفقد عطف الأب، فمكان القوّة والانتصار بالنسبة إلی الإخوة كان مكان الضعف والشعور بالخيبة عند يوسف. وهناک قصر العزيز الباعث علی الراحة والرفاهية لساكنيه، هذا المكان تحوّل من مكان أليف محبوب إلی مكان معاد، حيث تكشّفت ليوسف فيه مظاهر الفساد والخلاعة والانحلال الأخلاقی، والمعصية التی يدعو للابتعاد منها ومحاربتها. إنّه المكان المكروه الذی انطلق منه إلی مكان معاد مكروه آخر هو السجن، وقد استطاع يوسف أن يحوّله إلی مكان قابل لتحقيق الطموحات ونشر الدعوة، وهكذا تحوّل السجن عند يوسف من عالم ضيّق محدود إلی عالم يری فيه إمكان تحقيق الدعوة ونشرها. وهكذا فإنّ ثنائيّة المكان تكشف عن قيمته فی صنع الأحداث وإبراز دلالاتها، والمكان فی قصّة يوسف أدّی دوراً كبيراً فی صنع الحدث، ونهضت الشخصيات بدورها فی تحديد طبيعة ذلک المكان.

## النتيجة

استعرضت هذه الدراسةُ قصةَ يوسف التی وردت مرتّبة ترتيباً مسلسلاً فی كتاب

الله العزيز، فهى لاتخرج عن الإطار العام لقصّة غيره من الأنبياء. فقد تعرّفنا فى قصّة يوسف على حجم معاناته فى رقّه وعبوديّته، ثمّ فى السجن، ثمّ فى قصر العزيز، وكذلك بعد أن تسلّم مقاليد السلطة فى مصر، وأدركنا مدى الضغوط التى مارستها امرأة العزيز، إرضاء لشهواتها الجسديّة الرخيصة. ومع ذلك رأيناه متمسّكاً بأخلاق الأنبياء، فلم يخضع للضغوط ولم يتراجع عن إنسانيّته الرفيعة. وفى اختيارنا للنماذج التى تمثّل القصّة الفارسيّة، رأينا فيها مدى التأثير الذى تركته القصّة القرآنية فى القصّة الفارسيّة عند مولانا، وهذا التأثير تناول المفاصل الرئيسة التى يقوم عليها البناء القصصى، منها بناء الشخصيّات، والمنظور القصصى الذى عبّر السرد عنه، وكذلك الدور الذى نهض به كلّ من الزمان والمكان، يضاف إليهما البعد التعليمى والأخلاقى الذى تضمّنتهما تلك القصص. لم تكن شخصيّة يوسف عند مولانا بعيدة من تلك التى لحظناها فى القصّة القرآنيّة، لجهة الممارسة الفعليّة للدعوة، أو للسمات التى مكّنتها من القيام بدورها على الوجه الأكمل. وإذا ما لحظنا شيئاً من التمايز أو التعديل، فإنّ ذلك لا يتعدّى الشكل الخارجى، من غير أن يتضمّن تغييراً جوهريّاً فى بناء الشخصيّة القصصيّة. لاتخلو قصّة "يوسف وزليخا" المنظومة شعراً من تأويلات رمى إليها الشاعر، وهى تفتح الباب أمام قراءات جديدة لقصّة كفاح النبى يوسف (ع) فى سبيل الايمان بالله وتوحيده، من غير أن تخرج عن المرتكزات الرئيسة التى يعرفها القارىء، وهذه التأويلات لا تبتعد من الإطار الدينى الذى يضع الأخلاق والقيم فى المقام الأول، من أجل بناء الإنسان الحقيقى، كما أراد الله له أن يكون. إنّ المولوى الذى نظم قصّة "يوسف وزليخا" قد استوعب الدروس والعبر التى جاءت بها سورة يوسف فى كتاب الله، وحاول، مستعيناً بما أوتى من الموهبة والثقافة، أن يقدّم للقارىء الإيرانى، بأسلوب يتوافق مع الواقع الثقافى الإيرانى، قصّة المؤمن بالله الذى تحلّى بأروع القيم الأخلاقيّة وأنقاها. ما قلناه عن بناء الشخصيّة فى القصّة الفارسيّة والدور الذى نهضت به فى بنية القصّة ينطبق على بناء الزمان والمكان، لجهة التأثّر من القصّة القرآنيّة، فالأمكنة واقعيّة فى كلّ من القصّتين، وفعل الشخصيّة فى المكان والزمان يكاد يكون هو نفسه، وهذه الأمكنة تسهم فى الكشف عن جانب من جوانب الرؤية إلى دور القصّة فى التعليم والتهذيب وترسيخ الإيمان فى النفوس.

## المصادر والمراجع


القرآن الكريم.

ابن الأثير، نصرالله بن محمد. ۱۹۹۵م. *المثل السائر فی أدب الکاتب*. تحقيق محمد محی الدين عبدالحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

ابن كثير، أبو الفداء. ۱۹۹۹م. *تفسير القرآن العظيم*. المدينة المنوّرة: دار طيبة للنشر والتوزيع.

بدوی، أمين عبدالمجيد. ۱۹۸۱م. *القصة فی الادب الفارسی*. بيروت: دار النهضة العربية.

براون، إدوارد. ۲۰۰۱م. *تاريخ الأدب فی إيران من الفردوسی إلی السعدی*. القاهرة: الثقافة الدينية.

بستاني، محمود. ۱۳۸۲ش. *البلاغة الحديثة*. قم: دار الفقه.

بكر، أيمن. ۱۹۹۸م. *السرد فی مقامات الهمذانی*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جاد المولی، محمد أحمد. ۱۳۸۰ش. *قصص قرآن*.ترجمه مصطفی زمانی. تهران: نشر پژواک انديشه.

جاد المولی، محمد أحمد. ۲۰۰۰م. *قصص القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية.

تلميذ، حسين. ۱۳۷۸ش. *مرآة المثنوی*. تحقيق بهاء الدين خُرمشاهی. تهران: نشر گفتار.

الخالدی، صلاح. ۱۹۹۸م. *القصص القرآنی*. دمشق: دار القلم.

زراقط، عبدالمجيد. ۱۹۹۹م. *فی بناء الرواية اللبنانية*. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية.

الشعراوی، محمد متولی. ۱۹۹۱م. *تفسير الشعراوی*. قاهره: مطابع أخبار اليوم.

شلبی، محمود. ۱۹۷۴م. *حياة يوسف*. بيروت: دار الجيل.

شيخ أمين، بكری. ۱۹۹۴م. *التعبير الفنی فی القرآن*. بيروت: دار العلم للملايين.

الطبری، محمد بن جرير. ۲۰۰۰م. *جامع البيان فی تأويل القرآن*. تحقيق أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبد الله، عدنان خالد. ۱۹۸۶م. *النقد التطبيقی التحليلی*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

عبدالعال، محمدقطب. ۲۰۰۶م. *من جماليات التصوير فی القرآن الكريم*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عريان عبداللطيف، هدى. ۲۰۰۵م. *الشخصية النسائيةفی القصة القرآنية*. دمشق: دار غار حراء.

علوب، عبدالوهاب. ۱۹۹۳م. *القصة القصيرة فی الأدب الفارسی*. القاهرة: المكتبة الثقافية.

فروزانفر، بديع الزمان. ۱۳۵۴ش. *زندگانی مولانا جلال الدين محمد بلخی*. تهران: لانا.

فروزانفر، بديع الزمان. ۱۳۸۵ش. *احاديث وقصص مثنوی*. تهران: انتشارات اميركبير.

قاسم، سيزا. ۱۹۸۵. *بناء الرواية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القاضی، محمد. ۲۰۱۰م. *معجم السرديات*. مجموعة من المولفين تحت إشراف محمد القاضی. بيروت: دار الفارابی.

القطان، مناع. ۱۹۹۴م. *مباحث فی علوم القرآن*. بیروت: مؤسسة الرسالة.
قطب، سید. ۱۹۶۶م. *التصویر الفنی فی القرآن* . القاهرة: دار الشروق .
قطب، سید. ۱۹۹۵م. *فی ظلال القرآن*. القاهرة: دار الشروق.
کامل حسن، محمد. ۱۹۷۰م. *القرآن والقصة الحدیثة*. بیروت: دار البحوث العلمیة.
کفافی، محمد عبدالسلام. ۱۹۷۱ م. *فی الأدب المقارن*. بیروت: دار النهضة العربیة.
مرتاض، عبد الملک. ۱۹۹۸م. *فی نظریة الروایة*. الکویت:عالم المعرفة.العدد(۲۴۰).
المحمدی الاشتهاردی، محمد. ۱۹۹۸م. *قصص المثنوی*. بیروت: دار الرسول الاکرم.
مولوی، جلال الدین. ۱۳۸۴ش. *مثنوی معنوی*. تحقیق مهدی آذریزدی. تهران: انتشارات پژوهش.
مولوی، جلال الدین. ۱۴۱۸ق. *مثنوی معنوی الکتاب الثانی*. تحقیق: إبراهیم الدسوقی.
ندیم، دعکور۱۹۸۶م. *تنقیة الروایة*. بیروت: جامعة القدیس یوسف.